الفصل الثاني

الأطفال كمشاهدين للتليفزيون

- قوة تأثير التليفزيون على الأطفال .
- التليفزيون والطبيعة الانفعالية والمعرفية للأطفال .
- الاختلاف فى المشاهدة بين الطفل والشخص الراشد .
- مراحل النمو المعرفى والتليفزيون .
- اختلاف المشاهدين فى فهم البرامج :

نموذج التأثير التفاعلى للتليفزيون

أهمية التليفزيون كوسيلة إعلامية للأطفال .

انتباه الأطفال أثناء المشاهدة .

من هم ؟ أين ؟ متى ؟ ماذا ؟ لماذا ؟

البيضة أم الفرخة ؟ ومشكلات أخرى منهجية .

الفصل الثانى

الأطفال كمشاهدين للتليفزيون

قوة تأثير التليفزيون علي الأطفال :

ظهرت في التسعينات أحداث عنف وإجرام في بعض البلدان الأوربية والأمريكية بين الأطفال ففي بريطانيا مثلا قام طفلان في العاشرة من العمر باحتجاز طفل معاق في السابعة من العمر وتعذيبه حتى الموت وذلك أثناء عرض احد مسلسلات الأطفال الشهير ... مرددين اغنية كان يرددها الطفل المفترض انه شرير في المسلسل !

كما ارتكب شابان أمريكيان جريمة قتل لـ ١٥ تلميذ في مدرسة "ليتل تاون" الثانوية وكان كلا منهما يحمل مدفعا رشاشا ، واحدهما يرتدى معطفا طويلا من الجلد الأسود تشبها بما حدث في لعبة الفيديو " مفكرة الباسكت بول ، حيث يظهر بطل الفيلم الذي صور في عام ١٩٩٥ بهذا المعطف ثم يتجه إلي فصل مدرسته الثانوية ، ويبدأ في إطلاق النار علي التلاميذ واحدا بعد الآخر في تصوير بطئ علي موسيقي الروك" ، وكان المجرم الآخر يرتدى فانله تحمل صورة شخصية كارتونية عرفت باسم "كني" الذي يقوم في كل حلقة من حلقات الكارتون بالعديد من عمليات القتل .

وهناك أمثله أخرى صارخة وعديدة للتعلم بالقدوة وحب المحاكاه مستمدة من الوسيلة الأكثر انتشارا في العالم وهي التليفزيون .

ولقد كان الاعتقاد السائد في بداية ظهور هذا الجهاز انه ما هو إلا وسيلة من وسائل التسلية التي ليست لها آثار نفسية بالمرة علي الأطفال أو أن أثاره تافهة ، إلا

أن الكم الهائل من البحوث التي أجريت علي مدى الأربعين عاما الماضية في مجال علم النفس والإعلام يشير نتائجه بأن التليفزيون له بالفعل بعض الآثار النفسية علي الأطفال ، ومع أن هذه الآثار النفسية عادة ما تنشأ في بادئ الأمر طفيفة جدا إلا انها تتكون بطريقة تراكمية ، وتعتبر آثارا إضافية" additional اكثر من كونها أساسية primary بمعنى انها تضاف إلي الآثار النفسية الأخرى الناتجة عن العوامل البيولوجية والبيئية ، ويمكن أن توضع في المرتبة الثالثة مباشرة من حيث الأهمية بعد تأثير الأسرة والوسط الاجتماعي ، فمثلا سهولة حصول التلاميذ علي الأسلحة النارية وانتشارها بينهم وتدعيم السلوك العدواني في المجتمع الأمريكي وطبيعة الثقافة الأمريكية يمكن أن تعتبر عوامل بيئية اسهمت بالإضافة إلي مشاهد العنف التليفزيوني في وقوع هذه الجرائم (كيوبي Kubey ١٩٩٦، هستن وزملاؤها[١] Huston et al ١٩٩٢) .

وفي السنوات الأخيرة توصلت مجموعات من الخبراء المتخصصين إلي الكشف عن وجود آثار نفسية ملحوظة علي بعض الأشخاص بسبب مشاهده برامج تليفزيونية معينة ، ففي الولايات المتحدة مثلا - انصبت أعمال" اللجنة الاستشارية العلمية للهيئة الصحية العامة حول دراسة تأثير التليفزيون علي السلوك الاجتماعي، حيث اهتمت بمشاهد العنف التليفزيوني وظهور السلوك العدواني، كما اهتم ايضا بتأثير هذه المشاهد" المعهد الأمريكي القومي للصحة العقلية وايضا الجمعية الأمريكية في علم النفس والتي قد تبنت اتجاها عاما في عام (١٩٨٥) يشير إلي أن مشاهد العنف التليفزيوني مسئوله بدرجة كبيرة عن السلوك العدواني، كما تركزت دراسة هستن وزملاؤها (١٩٩٢) حول مدى واسع من الآثار النفسية الإيجابية والسلبية للإعلانات والبرامج التليفزيونية علي النساء والأطفال والكهول والأقليات، وقد ظهرت أيضا مثل هذه الدراسات في كندا وبعض البلدان الأوربية .

---

(١) اليثاهستن :استاذة دكتورة مديرة قسم علم نفس النمو في الجمعية الأمريكية لعلم النفس، كما تلقت جائزة " إرفن ينجبرج" Irvin Youngberg للإنجاز العلمي المتميز في العلوم التطبيقية ولها العديد من المؤلفات والبحوث في مجالى علم النفس والإعلام .

التليفزيون والطبيعة الانفعالية والمعرفية للأطفال

إن كثيرا من الباحثين الذين يدرسون النمو الإنساني يعتقدون أن الأطفال " مشاهدون لهم طبيعة خاصة " special audience، فالطفل بطبيعته شغوف بالتليفزيون ، وقد تبين من الدراسات أن الآباء يضعون أطفالهم الصغار (في مرحلة المهد) وهم في حالات البكاء والهياج أمام التليفزيون كي يهدأوا، وتشير الاحصائيات إلي إن الطفل العادي في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا يشاهد التليفزيون من ساعتين إلي ثلاث ساعات يوميا في المتوسط ، ولأسباب عدة يعتبر الاطفال صغار السن اكثر عرضه لآثار التليفزيون الانفعالية السلبية كالحزن والخوف والغضب . حيث ان قدراتهم المعرفية محدودة ويسهل آثارتهم انفعاليا. كما انهم متحمسون ومتفتحون لبعض البرامج القصصية المسلية المناسبة لأعمارهم. ويأخذ هذا التحمس عادة شكلين: فقد يصبح الأطفال متوترين واحيانا لا يستطيعون التحكم في سلوكهم، فيبدون مثلا وكأنهم يعايشون بطل القصة فينصحونه ويحثونه ويحذرونه ويقاسمونه الآمه أو ينتصرون ويثابون معه ، ويعبرون عن ذلك احيانا بأصوات عالية ، اما الشكل الآخر فقد يبدو فيه الطفل وكأنه منوم مغناطيسيا mesmerized من شدة انتباهه إلي القصة التليفزيونية التي تثيره .

ويشير "دور Dorr" (١٩٨٦) إلي أن هناك عددا من العوامل التي يمكن أن تحد من قدرة الاطفال علي فهم الأحداث سواء تلك التي تحدث في عالم الواقع او خلال وسائل الإعلام ، ومن هذه العوامل مثلا : أنه تنقصهم خلفية المعلومات الضرورية اللازمة لهذا الفهم ، فمما لا شك فيه أن هذه المعلومات تقل عما هي عليه عند المراهق أو الشاب الراشد ، وهناك ايضا عامل آخر هو انه لم يكتمل نموهم المعرفي بعد. فالطفل حتى الخامسة مثلا غير قادر علي الاستدلال المنطقي ولا الإلمام بكل الجوانب الأساسية للمواقف التي تجابهه وغير ذلك من الخصائص التي تحدث عنها العالم الفرنسي " بياجية" Piaget (١٩٦٩) وغيره والتي تصف الخصائص المعرفية عند الأطفال، وهذه العوامل تؤثر عليهم في مشاهدتهم للبرامج التليفزيونية كالآتي :

أ - قد يفشلون أو يسيئون فهم محتوى البرامج بسبب نقص الأساس المعرفي الضروري اللازم لذلك الفهم ، ويزداد أيضا هذا الفشل كلما كانت ثقافة الطفل غريبة عن ثقافة محتوى البرامج التليفزيونية المعروضة، كما هو الحال مثلا عند مشاهده الطفل العربي للبرامج الأمريكية أو الأوربية .

ب - قد يتقبلون معلومات محتوى برنامج تليفزيوني وكأنها حقيقة لا تقبل الشك في حين أن هذا البرنامج قد يكون كوميديا أو خياليا ، وذلك لأنه بالرغم من أن تفكير الطفل يغلب عليه العيانية والإرتباط بالمحسوسات إلا انه لا يستطيع التمييز بين الواقع والخيال، وكلما صغر سن الطفل وقلت خبرته صعب عليه الفصل بين الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه والقصص أو المواقف الخيالية التي تقدمها بعض البرامج التليفزيونية.

ج - قد لا تمكن طبيعة النمو المعرفي للأطفال الذين تقل اعمارهم عن أربع سنوات من إدراك معني كثير من المفاهيم المألوفه مثل: القصد أو الزمن، فالأطفال الصغار كثيرا ما يخفقون في إدراك القصد من تصرفات الأخرين، لذا فقد يتفهم الطفل محتوى البرنامج التليفزيوني إذا كان مناسبا لسنه دون ان يعي أو يدرك جيدا القصد من بثه أو إذاعته، كما أن فكرة الزمن غير مفهومه جيدا لدى الطفل الصغير، فإذا طلب مثلا من أبيه شيئا ثم قال له الأب انه سيحضره له باكر شعر بخيبة أمل واعتقد انه لن يحصل علي ما يريد ، لذا فإن الأطفال الصغار لا يستطيعون فهم بعض الأساليب المتبعة في الأفلام التليفزيونية مثل قطع التسلسل التاريخي أو عرض مشاهد كانت قد وقعت في زمن سابق وغير ذلك .

الاختلاف بين الطفل والشخص الراشد :

في مشهد من فيلم ايطالي ظهر عام (١٩٩٠) اسمه " أمـاركورد" Amarcord عن أحوال الأسرة الإيطالية في الثلاثينات ، يحتوى علي منظر ينهمر فيه المطر بغزارة وتسقط فيه كرات الثلج - نرى طفلا عمره ٩ أعوام واخاه المراهق يستمتعان بالنظر إلي سقوط كرات الثلج ، ويبدو عليهما الدهشة والسرور والمرح،

ثم نشاهد أحد الولدين يفتح النافذة محاولا الإمساك بقطع الثلج بيده وفمه، ويرى والدهما نفس المنظر فيشمئز منه ، لأن الثلج المتساقط يعني بالنسبه له انه لن يستطيع ممارسة عمله في ذلك اليوم كعامل بناء ، وأنه لن يتمكن حتى من استخدام وسائل المواصلات العامة لقضاء مصالح الأسرة ، وأغلق النافذة وقد بدت عليه علامات الاستياء والغضب ، وهكذا يصور الفيلم كيف يمكن أن تختلف استجابة أو رد فعل الراشدين عن الأطفال لشئ واحد تبعا لأختلاف إدراكهم لمعناه وتبعا لأهميته لهم .

وبالرغم من ان الأطفال في مراحل الطفوله المبكرة لا تزال خبراتهم محدودة ولا يزالون في مراحل مبكرة نسبيا من النمو المعرفي والتطبيع الاجتماعي- إلا انهم احيانا لهم احكام علي الآخرين لم تتلون بعد بالمؤثرات الاجتماعية السلبية، وكما يقول بعض الفنانين والكتاب في هذا الصدد : أن الأطفال قد يسمعون ويرون احيانا مالا يراه الكبار ، ففي قصة " هانز اندرسون Hans Anderson عن ملابس الأمبراطور الجديدة يقول هذا الكاتب :

أمر الإمبراطور بصنع رداء جديد له إلي اثنين من الخياطين في مملكته ادعيا بأنهما يستخدمان لصنع الملابس أقمشة مسحورة ذات ألوان جميلة زاهية براقة، ويستطيع كل شخص في الأمبراطورية ان يراها جيدا طالما كان ذكيا ويؤدي عمله علي أكمل وجه ، اما الشخص الغبي غير الصالح لعمله فلن يستطيع ان يراها أبدا، وقد أعجبت حاشية الامبراطور بهذا الرداء الجديد ، و لما ارتدى الامبراطور رداءه الجديد وسار في موكبه في الطريق ، اعجب به كل من رآه، إلا أن هناك طفل صغير كان يشاهد الموكب صاح قائلا : أن الامبراطور لا يلبس شئ بالمرة ؟، وهكذا فقد تظاهر الأشخاص الراشدون بأنهم يرون الرداء الجديد وهو ليس موجودا بالمرة خوفا من اعتبارهم إما أغبياء أو لا يصلحون لأعمالهم، أما الطفل فقد قرر الحقيقة كما هي دون القيود والتقاليد المفروضة علي الكبار، إن مثل هذا الطفل إن وجد فلابد وأن يكون عمره أقل من خمس سنوات أي أقل من السن التي يسمح للأطفال فيها بالدخول إلي المدرسه الابتدائية ، لأن المدرسة كمؤسسة اجتماعية تطبع الطفل اجتماعيا حيث يبدأ في التشبه بالأشخاص البالغين في بيئته في حكمه علي الأمور وإدراكه لها عن طريق عمليات التعلم بالقدوة .

والإدراك الاجتماعي كما يقرر علماء النفس المعاصرين- هو نشاط معرفي معقد يتضمن عمليات كالانتباه والفهم والتذكر والاستدلال ، فالشخص كثيرا ما يتأثر في إدراكه للآخرين أو للأحداث الاجتماعية بخبراته السابقة وحالته الوجدانية والدافعية بالإضافة إلي العمليات المعرفية اللازمة لهذا الإدراك ، حيث تحدث عمليات تلقائية سريعة لمعالجة المعلومات واسترجاعها information processing and retrieval كي يتم الإدراك الاجتماعي، وكثيرا ما يتضمن هذا الإدراك عمليتي انتقاء وتفسير - أي انتقاء عناصر معينة من الموقف الاجتماعي ينتبه إليها الشخص دون غيرها- وتفسير لمحتوى هذا الموقف (فور جاس Forgas ١٩٩٦) .

ولقد اظهر الباحثون الذين يدرسون استخدامات التليفزيون وفوائده أن كثيرا من الأطفال والراشدين يستخدمونه لأغراض متعددة هي التسلية والحصول علي المعلومات ولشغل أوقات الفراغ ، وهم ليسوا مجرد مستقبلين فقط لما يشاهدونه بل ينشطون تلقائيا لتفسير ما يرونه من أحداث ومواقف ، كما تبين كذلك أن الأطفال الصغار يختارون مشاهده البرامج التليفزيونية السهلة المناسبة لقدراتهم المعرفية كي يستطيعون فهمها ، وتساهم العوامل الشخصية في تحديد نوع وكمية البرامج التي يشاهدها الطفل ، ولكن ما هي هذه العوامل علي وجه التحديد أو كيف يختلف الطفل في إمكانياته الخاصة بمشاهدة البرامج التليفزيونية عنا أو عن أي شخص ما راشد ؟

هل مثلا يمكن ان يفهم الطفل ذو الأربعة أعوام كل ما يشاهده من برامج تليفزيونية ؟

إن الشخص الراشد يمكنه مثلا أن يفهم ما تشير إليه كلمات اللغة من أشياء ومعاني أما الطفل فهو لا يفهمها جيدا ويظل[١] طوال مرحلة الطفولة ينمي من

---

(١) فالطفل مثلا حتى ست سبع سنوات تفكيره عياني فهو لا يعرف إلا معاني الكلمات التي تشير إلي أشياء محسوسه مثل : باب، لبن ، كراسة. أما الكلمات المجردة مثل : خبث، حنان، إخوه فهو في الغالب لا يستطيع فهمها جيدا، لأنها تتطلب خبرات كافية للطفل في مواقف معينة نهئ له امكانية التعميم، كما ان الطفل في سن الرابعة فما دون قد يخطي في فهم معاني بعض الكلمات : فقد يستخدم مثلا كلمه قطه ليشير بها إلي كل الحيوانات وكلمة يدخل ليعني بها الدخول أو الخروج علي السواء.

قدرته علي هذا الفهم ، كما ان الشخص البالغ لديه كمية كبيرة من المعلومات المخزونه في ذاكرته يستفيد منها في تفكيره أما الطفل فالمعلومات المخزونه في ذاكرته ضئيلة ولا تمكنه من التفكير الناضج ، لأن الإنسان يستخدم محتويات الذاكرة من خبرات ومعلومات في تفكيره وحكمه علي الأمور .

وذاكره الطفل ليست فقط ضحله هزيلة meager نسبيا وإنما هي ايضا مشتته spotty – والشخص الراشد بسبب قدرته علي التفكير المتكامل يستطيع فهم العلاقات بين الأشياء وهو ما لا يستطيعه الطفل الصغير الذي قد يكون احيانا عاجزا عن إدراك العلاقة القائمة بين ظاهرتين أو أكثر أي التعليل أو حتى معني أو استخدام كلمة " لأن ، ومن الأمثلة علي ذلك انه إذا سئل مثلا : لماذا تطفو المركب الكبيرة ؟ فقد يكون رده لأنها كبيرة ، والصغيرة ؟ لأنها صغيرة ، أو إذا سئل لماذا وقع احمد من علي الدراجة ؟ فقد يكون رده : لأنه كان يركبها أو لأن ذراعه إنكسرت .

ومن الفروق المميزة ايضا بين الأشخاص البالغين والأطفال في القدرة المعرفية أنه لدى البالغين القدرة علي إدراك المعنى الكلي للأحداث أو القصص ، فالشخص الراشد يرى مثلا ان اجزاء القصة المعروضه في البرنامج التليفزيوني هي جزء من الكل وتساهم في النتيجة النهائية ، وأن القصة لها بداية ووسط ونهاية ، وقد لا يفهم الطفل الصغير ذو الثلاثه أو الأربعة أعوام ذلك ، حيث يرى ان أي تغير في مشاهد القصة هو حدث جديد ، فكل مشهد يعرض أمامه هو موقف قائم بذاته ولا يرتبط بغيره من المشاهد الأخرى .

وكل جزء من أجزاء القصة له اهمية عند هذا الطفل مماثله للأجزاء الأخرى ، وربما يعتقد انه جزء ما من القصة يفوق في أهميته خاتمة القصة والمتضمنة الحل النهائي لها ، لأنه غير قادر علي التفكير المنطقي ، فقد يعتقد طفل صغير مثلا في قصة ذات الرداء الأحمر ان واقعة أكل الذئب للجده هو حدث ذا أهمية أكبر من النهاية السعيدة للقصة والمتمثلة في قتل الذئب وإخراج الطفلة ذات الرداء الأحمر وجدتها من بطنه بواسطة الحطاب .

مراحل النمو المعرفي والتليفزيون :

يعكس النشاط العقلي للطفل عند مشاهدته للتليفزيون مراحل النمو المعرفي كما تصورها علماء النفس في مجال النمو ، ففي دراسة عرضت قصة خيالية علي شاشة التليفزيون علي ثلاث مجموعات من الأطفال : احداهما عمر كل طفل فيها ٤ سنوات والثانية ٧ سنوات والثالثة ١٠ سنوات ، ثم اعطي كل طفل بعد ذلك ٣ صور فوتوغرافية كانت ضمن مشاهد القصة وطلب منهم وضعها في الترتيب المناسب في السياق الذى ظهرت فيه علي الشاشة ، وكانت النتيجة ان خمس

الأطفال فقط من المجموعة التي عمر كل فرد فيها ٤ سنوات هم الذين استطاعوا الترتيب الصحيح لهذه الصور، اما أطفال المجموعتين الثانية والثالثة وهم الذين كانت اعمارهم ٧، ١٠ سنوات فقد وضعوا الصور كلها في الترتيب الصحيح الذي ظهرت به في القصة، ولما سئلوا بعد ذلك عن دوافع ومشاعر شخصيات القصة كانت اجابات الأطفال الذين عمرهم ٤ أعوام غامضة ولم يتمكنوا من تفسير ما شاهدوه كما كانوا يتذكرون وقائع القصة بصعوبة (كيوبي Kubey ١٩٩٦) .

وفي دراسة اخرى عرض فيلم كوميدى علي ١٦٨ تلميذ من مستوى اقتصادي اجتماعي متوسط من سكان كاليفورنيا تراوحت اعمارهم من ٤ إلي ١٨ سنه وذلك بهدف التعرف علي نوع المعلومات التي يهتم بها الأطفال في مراحل السن المختلفة في الأفلام التليفزيونية التي يشاهدونها للتسلية ، وقد اتضح من نتائجها ان التلاميذ الأكبر سنا كانوا أكثر من الأصغر سنا في التركيز علي المعلومات الضرورية في الفيلم سواء في المشاهده أو في تذكر احداث الفيلم ،كما كان المراهقون أفضل من الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة في تجاهل المعلومات غير الضرورية في قصة الفيلم (كيوبي ١٩٨٤) .

كما أتضح من عدد من الدراسات أن مشاهدة الأطفال صغار السن (من سن ٤، ٥ سنوات) للبرامج التليفزيونية لها خصائص معينة بالإضافة إلي ما سبق يمكن إجمالها في الأتي :

١- يميل الأطفال الصغار إلي أن تكون المشاهد التليفزيونية التي يسرون لها متكررة ، ونلاحظ هذا في فيلم " توم وجيري" ومناظرة دائما متكررة وتعجبهم ، حيث توم هو القط الذي يجري دائما وراء "جيري" الفأر ، كما أن الطفل يميل إلي التكرار ايضا في وصفه للمشاهد التي تعجبه مثل قول طفل في الخامسة يصف هروب المجرم من قبضة البوليس : والعسكري يحلأ عليه .. والعسكري الثاني يصفر بالصفافير .. والراجل يقول : يا هوه يا هوه ..أخ أخ ..

٢- بالرغم من أن الأطفال الصغار يحبون الخيال إلا انهم قد يندهشون أو يتعجبون إذا ما رأوا مشاهد غير مألوفه أو تختلف عما اعتادوا أن يروه في

البيئة من حولهم عن طبيعة الأشياء أو قانون السبب والنتيجة، ومن المنـاظر التي قد تسبب حيره الطفل مثلا رؤيته لحيوان ضخم من الكرتون يضـرب آخر علي رأسه بقوة (كما يبدو من سرعه الضربة) دون أن يرى أثرا لـهذه الضربة مثل عدم سماع صوتها المزعج أو اهتزاز الحيوان الآخر .

ومن المألوف كذلك أن يرى الطفل رجلا يكلم حصانا حيا، أما أن يـرى حصانا حيا (ليس كرتونا) يكلم حصانا حيا آخر فهذا قد يكون مسببا لدهشـته لانه يتناقض مع ما اعتاد ان يراه في العالم الطبيعي حوله .

٣- يتذكر هؤلاء الأطفال احداثا قليلة فقـط ممـا يشـاهدونه مـن القصـص التليفزيونية .

٤- يجدون صعوبة في فهم اللقطات أو المناظر التليفزيونية التي تستغرق فترات زمنية طويلة long shots.

٥- من المعروف أن تفكير الأطفـال فـي هـذه السـن عيـاني أي مرتبـط بالمحسوسات ، وإدراك الأطفال للتليفزيون لا يختلف عن إدراكـهم للبيئـة الطبيعية والاجتماعية من حولهم ، لذلك فـهم يركـزون علـي الجوانـب السطحية من المشاهد التليفزيونية التي يرونها ، فانتباههم مثلا إلـي معنـي الحوار المسرحي أو المناقشة dialogue أقل مما هو موجـه إلـي شـكل الممثلين وملابسهم وحركاتهم وأصواتهم ، كمـا أنـهم أقـل فـهما لنوايـا شخصيات الأفلام التليفزيونية من الأطفال الأكبر سنا .

وعموما تؤيد الدراسات التي أجريت علي الأطفال والتليفزيون نظريـة العـالم الفرنسي " بياجية (١٩٦٩) عن النمو المعرفي للأطفال ، فهؤلاء الأطفال لا يزالـون في مرحلة ما قبل العمليات preoperation stage ، ومع نموهم تـزداد تدريجيـا قدراتهم المعرفية ، فيزداد مثلا تذكرهم للأحداث ، وفهمهم لمعنـى الحـوار بيـن شخصيات الأفلام ، والقصد من تصرفات هذه الشخصيات وغـير ذلـك (زيلمـان Zillmann ١٩٩٤) .

اختلاف المشاهدين في فهم البرامج : نموذج التأثير التفاعلي للتليفزيون :

an interactive model of media influence

إذا تساوى المشاهدون في درجات نموهم المعرفي فهناك أيضا اختلافات يمكن أن تظهر بسبب عوامل أخرى، ومن هذه العوامل : الغموض : أي غموض البرنامج التليفزيوني أو الموقف الاجتماعي الذي يتضمنه هذا البرنامج ، حيث تشير الدراسات الحديثة إلي أن الناس يتأثرون بحالاتهم الدافعية والوجدانية وخبراتهم السابقة عند تفسيرهم للأشياء الغامضة، لذلك فكل شخص قد يفسرها تفسيرا مختلفا عن الآخر ، فإذا جلس شخصان مثلا يشاهدان برنامجا تليفزيونيا غامضا أو يتضمن مواقف اجتماعية غير مفهومة فكل منهما قد يخرج منه بمعني مختلف عن الآخر ، وعلي العكس من ذلك : كلما كان البرنامج واضحا سهلا لا يحتاج إلي تفسير كان له معنى واحد عند جميع المشاهدين ، فالإدراك في النهاية يحدث نتيجة تفاعل بين التنبيهات المكونة للرسالة التي تستقبل من البرنامج التليفزيوني وخصائص الشخص الذي يتلقي هذه الرسالة أي المشاهد ، ويمكن أن نتبين نتيجة هذا التفاعل علي هيئة خط مستقيم continuum له قطبان ، احدهما يمثل سيادة خصائص المشاهد، والأخر يمثل سيادة خصائص المحتوى ، وفيما يتعلق بالقطب الأول والخاص بخصائص المشاهد فيقصد به أن الرسالة المستقبلة يفهمها المشاهد تبعا لصفاته

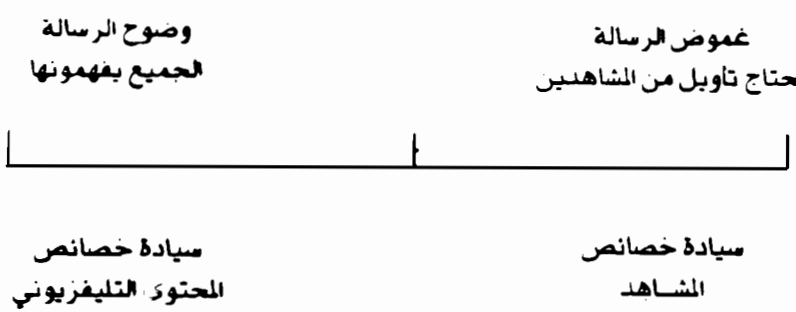

شكل رقم (٣) درجة صعوبة

الرسالة المستقبلة

وخبراته السابقة وخلفيته الثقافية ، وفي مثل هذه الحالات التي تسود فيها خصائص المشاهد ليس من المحتمل أن يحدث نفس الأثر لدى المشاهدين الذين يتلقون رسالة واحده ، أي أن كل منهم سوف يفسر ما يشاهده تفسيرا مختلفا عن الآخر ، أما القطب الآخر فهو الذي يسود فيه المحتوى content predominate، حيث يفهم المشاهدون الرسالة التليفزيونية أو محتوى البرنامج بمعنى واحد، وكلما كان البرنامج التليفزيوني غامضا صعب التأويل بالنسبة للمشاهدين تم تفسيره وفقا لخصائصهم، وبالعكس كلما كان واضحا سهل التأويل (أو غير محتاج إلي تأويل) أدي ذلك إلي سيادته بالنسبة لهم أي فهم الجميع له بمعنى واحد (هستن وزملاؤها Huston et al ١٩٩٢) .

أهمية التليفزيون كوسيلة إعلامية للأطفال

يعتبر التليفزيون من أكثر وسائل الإعلام انتشارا بين الأطفال في سنهم المبكرة ، فلا شك أن هناك نسبة لا بأس بها من الأطفال يشاهدونه بصفة منتظمة، لذلك فهو مصدر رئيسي من المصادر التي تعرض علي الأطفال صورة المجتمع ، وقد يبدأ أول اتصال بين الطفل والتليفزيون في الثانية من العمر أو دون ذلك - عندما يرى أو ينصت مصادفة إلي برنامج يشاهده شخص آخر من الأسرة، وفي سن الثالثة تقريبا قد يبدأ في الارتباط بجهاز التليفزيون ويشاهده بانتظام بعد أن كانت رؤيته له عرضية في سن الثانية ، وأطفال سن الثالثة في بيئاتنا العربية كثيرا ما يتواجدون بالمنزل ، وبالتالي فإن وجود جهاز التليفزيون في المنزل يعتبر أحد العناصر الرئيسية لتسليتهم والترفيه عنهم ، وهذا الجهاز بالنسبة للطفل يعد بمثابة باب سحري ينقله إلي عالم الخيال والإثارة ، وكثيرا ما يكون دعوة كلها إغراء للاسترخاء وطرح مشاكل الحياة ومتاعبها حيث يستغرق الإنسان في متعه . جميلة مع شخصيات القصص التى تجري حوادثها علي شاشته .

ولعل سر اهتمام الأطفال بالتليفزيون وإنجذابهم نحوه يعود إلي جملة من الخصائص المميزة له عن غيره من وسائل الاتصال الجماهيرية ، فقد اصبح في مقدمة هذه الوسائل تأثيرا في حياة الجماهير لما يتمتع به من مزايا تنقل الصوت

والصورة واللون في آن واحد ، كما إنه يمكن أن يقدم المادة الإعلامية في نفس زمن حدوثها أو بعد فترة مناسبة ، إضافة إلي مقدرته علي تكبير الأشياء الصغيرة وتحريك الأشياء الثابتة ، ومن خصائصه أنه حاليا يدخل كل بيت تقريبا. وبذلك أصبحت برامجه في متناول أيدى أفراد الأسرة صغارهم وكبارهم علي السواء حتى صار من الصعب أحيانا منع الأطفال من مشاهده ما يجرى علي شاشته ، إذ اصبح جزءا غير منفصل من اهتماماتهم اليومية منذ اللحظة التي يبدأون فيها إدراك العالم من حولهم .

وفي مجال التعليم اصبح وسيلة ذات فاعلية لأنه يسمح لمدرس واحد بتوجيه رسالته التعليمية لآلاف واحيانا لملايين المشاهدين ، ويبدو ان قيمته وإمكانياته التعليمية والثقافية والتربوية تأتي أساسا من أن الإنسان يحصل علي ٩٨% من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر ، ومن هذه النسبة يحصل المرء علي ٩٠% تقريبا عن طريق الإبصار وحده، بينما الـ ٨% عن طريق السمع .

انتباه الأطفال أثناء المشاهدة :

اتضح من الدراسات المعملية التي أجريت بمعامل الجامعات تحت ظروف ضبط تجريبي صارم أن الأطفال الصغار ينظرون نحو جهاز التليفزيون عندما يسمعون أصواتا معينة هي: أصوات النساء أو الأطفال أو الدمي (وليس أصوات الرجال) ، وأيضا كلما كان محتوى البرنامج مسليا ومفهوما لديهم ، وهم عندما يبدأون في المشاهدة يستمرون فيها إلي أن يصبح محتوى البرنامج غير مفهوم أو غير مسلي ، وكلما طالت المدة التي يلتفت فيها الأطفال إلي جهاز التليفزيون قل احتمال اعراضهم عن مشاهدته ما لم يكن هناك داعي قوى يجبرهم علي ذلك .

وكلما طالت المدة التي يقضيها الطفل في الحجرة وجهاز التليفزيون يعمل ولكنه منشغل عنه بشئ ما آخر ، كان احتمال التفات الطفل إلي التليفزيون ضئيلا حتى مع زوال ذلك الشئ ومهما كان البرنامج التليفزيوني مشوقا له ، ويرجع "أندرسون" وزملاؤه Anderson et al (١٩٨٦) هذه الظاهرة إلي طبيعة الانتباه أو متطلباته عند الطفل ويطلق عليها أسم : السيطرة الإنتباهية attentional inertia.

والطفل يحاول في المراحل الأولي من حياته الكشف عما هو موجود في بيئته، وأن يجد معنى للأشياء والوقائع من حوله ، وهو يقضى وقتا طويلا في ذلك، ويعتبر التليفزيون وما يحتويه من برامج ضمن هذه الأشياء التي يحاول الطفل أن يتوصل إلي معنى لها ، ونتيجة لشغف الطفل بمشاهدة البرامج فقد يتعلم منها السلوك المفيد والسلوك الضار ، فقد يتعلم من البرامج المصممة له السلوك النافع إذا ما كانت معده إعدادا حسنا ، كذلك قد يتعلم من البرامج الأخرى السلوك غير الخلقي أو المضاد للمجتمع (هستن ورايت Huston & Wright ١٩٩٦) .

ومن الأمور التي كانت موضع اهتمام الباحثين هي مدى شدة انتباه الطفل أثناء مشاهدته للتليفزيون ، أو هل يشاهد الطفل التليفزيون بإيجابية - أي وهو مهتم بما يشاهده mindfulness أم انه ينظر إليه فقط دون أن ينتبه أنتباها كافيا لما يشاهد mindlessness ، والواقع أن الإجابة عن هذا التساؤل تقتضي أيضا الإجابة عن عدد من التساؤلات الأخرى هي :

خصائص المشاهدة : من هم ؟ أين ؟ متى ؟ ماذا ؟ لماذا ؟ :

ويقصد "بمن هم " خصائص المشاهدين من حيث مراحل النمو التي يمرون بها وحالتهم الصحية البدنية والانفعالية وغير ذلك ، هذه الصفات الشخصية ومثالها قد يكون أيضا لها آثارها علي سلبية الطفل وإيجابيته كمشاهد وبخاصة في الثقافات الفرعية subcultures ، ففيما يتعلق بمستوى النمو مثلا - قد يبذل الأطفال الأصغر سنا جهدا ونشاطا عقليا أكبر في مشاهدة التليفزيون عن غيرهم من الأطفال الأكبر سنا - لأن هؤلاء الأصغر سنا يجدون صعوبة أكبر في فهم محتوى البرامج.

ولا يقتصر تساؤل من هم فقط علي الصفات الشخصية بل يتضمن أيضا المنظور الثقافي ، لأن العوامل الثقافية تساهم في تحديد شخصية المشاهد كما أنها تدفع الفرد إلي الاهتمام بمشاهدة برامج تليفزيونية معينة دون غيرها .

"أين" ويقصد بها المكان الذي نشاهد منه التليفزيون ، فمشاهده التليفزيون مثلا في المعمل بسبب إجراء دراسة تجريبية تختلف عن مشاهدته في موقف طبيعي في المنزل ، وذلك لأن الأطفال الذين تجري عليهم الدراسات في المعمل يتوقعون أن

يسألوا فيما شاهدوه ، لذا فهم عادة ما يكونون اكثر اهتماما بالانتباه إلي التليفزيون ومحاولة استيعاب ما يعرض عليهم عنه في حالة مشاهدتهم له بالمنزل ، لهذا فإن النظر إلي شاشة التليفزيون لا يعنى أن الشخص يوجه كل انتباهه إليه ، كما ان مشاهدته والشخص منشغل عنه بعمل ما آخر يختلف عن مشاهدته وهو لا يعمل شئ بالمرة ، فمشاهده التليفزيون في المطبخ أثناء طهي الطعام أو في الحمام وقت الاستحمام - كما يحدث في بعض البلدان الأمريكية والأوربية - ربما تختلف عن مشاهدته في حجرة النوم او الاستقبال او تناول الطعام. كما أن مشاهدته ايضا في المطار قد تختلف عنه في حالة مشاهدته في الفندق أو النادي وهكذا .

"متى" ونعنى الوقت من اليوم أو الإسبوع أو السنة الذي يشاهد فيه التليفزيون. ويرتبط هذا التساؤل بـ" ماذا" ، فالبرغم من أن أندرسون (١٩٨٤) قد اوضح الطبيعة النشطه للأطفال الصغار في مشاهدتهم للتليفزيون إلا انه قد لاحظ ايضا في دراسة له استخدم فيها كاميرات الفيديو في منازل بعض الأطفال الأمريكيين انهم يهتمون كثيرا بالجلوس أمام جهاز التليفزيون صباح أيام السبت لمشاهدة الصور المتحركة اكثر من اهتمامهم بمشاهده أي برنامج ما آخر ، كما ان مشاهده التلميذ للبرامج التليفزيونية العامة أيام الدراسة قد تختلف عن مشاهدته لها وقت عطله نهاية العام الدراسي .

" لماذا" أي لماذا نشاهد البرنامج التليفزيوني؟ أو ما هو الدافع إلي المشاهده والفائدة المرجوه منها ؟ ، فالطلاب مثلا قد ينشطون معرفيا ويقبلون علي مشاهده برنامج تليفزيوني يشكل جزءا من مقرر دراسي سوف يمتحنون فيه في نهاية الفصل الدراسي اكثر من مشاهدتهم لبرنامج لمجرد التسلية والاسترخاء وشغل الوقت ، والشخص الذي يعاني من مشكلة ما صحية أو اجتماعية قد يهتم مثلا ببرنامج تليفزيوني يقدم اخصائيا يعالج هذه المشكلة أو شخصا آخر يعاني منها وهكذا ..

البيضة أم الفرخة ؟ ومشكلات اخرى منهجية :

حينما نتساءل عن تأثير التليفزيون علي سلوك الفرد أو نجمع ادله علمية عن هذا الموضوع فسرعان ما نقع في " مشكلة البيضة والفرخة"، كيف مثلا يمكن

التأكد من أن اختلاف الأشخاص في بعد ما من أبعاد الشخصية كالسلوك العدواني أو الإبداع أو مهارات القراءة - هو الذي يؤدي ايضا إلي الاختلاف في البرامج التي يشاهدونها ؟ فربما يكون هذا الاختلاف في مشاهده البرامج هو الذي ادي إلي إختلاف سلوكهم علي هذه الأبعاد نتيجة عمليات تعلم بالقدوة تمت بسبب هذه المشاهدة .

وعلي هذا يجب علي المربين والعاملين في مجال الصحة النفسية والطلاب والآباء والباحثين وكل من يحاول ان يدرس تأثير التليفزيون أو وسائل الإعلام علي الناس أن يضع هذا التساؤل جيدا في اعتباره ، وهو تساؤل لا ينير فقط أمامنا الطريق فيما يتعلق بطرائق البحث العلمي عن دراسة تأثير التليفزيون علي الأفراد بل إنه يعطي أيضا خلفية مناسبة للقراء تمكنهم من تقييم نتائج البحوث التي يقرأونها سواء في هذا الكتاب أو أي كتاب ما آخر ؟ .

أن مشكلة " الفرخة والبيضة" توضح الصعوبة التي يمكن مواجهتها عند تفسير نتائج البحوث أو إجراء استدلالات سببية causal inferences عن هذه النتائج، وتظهر هذه الصعوبة بوضوح في البحوث الإرتباطية ، فمثلا إذا ما قسنا أو قدرنا استخدامات الأطفال للتليفزيون أو إقبالهم علي مشاهده محتوى برنامج تليفزيوني معين (من البرامج المخصصة للأطفال دون الثانية عشرة ذات المحتوي الثقافي مثلا أو تلك الخاصة بالعنف) - ثم قسنا جوانب أخرى من سلوكهم (مثلا درجاتهم علي اختبار في التحصيل الدراسي أو علي اختبار للتفكير الإبداعي أو علي مقياس للسلوك العدواني) - فلا يمكننا القول بأن أي من هذين السلوكين سبب للأخر، ولكننا إذا ما وجدنا أن الطلاب الذين يحصلون علي درجات عالية علي أحد المقياسين (بالمقارنة بزملائهم) يحصلون ايضا علي درجات عالية علي المقياس الآخر - وأولئك الذين يحصلون علي درجات منخفضة علي أحد المقياسين يحصلون ايضا علي درجات منخفضة علي المقياس الآخر- فإنه يمكننا القول في هذه الحالة بوجود ارتباط بين استخدامات الفرد للتليفزيون أو بين البرامج التي يشاهدها وسلوكه ، وذلك بشرط أن يوضح مستوى الدلالة الإحصائية وجود هذا الارتباط ومقداره .

وعندما تتوافر لدينا الأسباب من قراءاتنا مثلا لنتائج البحوث السابقة - إلي الاعتقاد بوجود علاقة بين متغيرين معينين ، فقد نضطر في دراساتنا إلي استخدام أساليب إحصائية معينة ترمي إلي تثبيت أو عزل أثر المتغيرات الدخيلة (كما هو معروف منهجيا) حتى لا تؤثر علي هذين المتغيرين اللذين نريد دراستها .

فكثيرا ما يتساؤل الآباء مثلا أو المعلمون عما إذا كان مستوى القراءة أو أي جانب ما آخر من جوانب التحصيل الدراسي يرتبط بما يشاهده التلميذ من برامج تليفزيونية أو باستخداماته للتليفزيون ، ويقصد باستخداماته هذه أمور مثل : الفترة اليومية أو الأسبوعية التي يقضيها في مشاهدة التليفزيون ونوع البرامج التي يشاهدها وأفراد الأسرة الذين يشاهد معهد هذه البرامج. وهنا تشير نتائج كثير من البحوث إلي أن هناك ارتباط بالفعل بين استخدامات الطفل للتليفزيون ومستواه في القراءة والتحصيل الدراسي[1] ، ولكن قد تبين أيضا في هذه الدراسات أن هناك عوامل أخرى او سلوكيات لها أيضا ارتباط بمستوى القراءة والتحصيل الدراسي وتعرف بالمتغيرات الدخيلة ، وهي مثلا مستوى ذكاء التلميذ أي مستوى اداءه علي اختبارات الذكاء وأيضا كمية التدريب علي القراءة وغير ذلك ، كما تبين من بعض الدراسات أن معاملات الارتباط الدالة إحصائيا بين استخدامات التليفزيون ومهارات القراءة تنخفض عندما يتم عزل درجات المتغيرات الأخرى الدخيلة أو التحكم فيها إحصائيا ، ولكن لا يصل هذا الانخفاض إلي حد عدم الدلالة الإحصائية .

---

(١) موضح في الفصل السادس نتائج البحوث المتعلقة بهذا الموضوع.